

التأسيس النبوي للسيدة فاطمة رضي الله عنها

وفاء محمد العاتي

كلية اللغة العربية والدراسات الإسلامية بالجامعة الأسمرية الإسلامية زليتن - ليبيا

w.alaati@asmarya.edu.ly

المخلص

حظيت السيدة فاطمة - رضي الله عنها - برعاية سيد الخلق ﷺ، حيث نشأت أمام عينيه، وترعرعت بين يديه؛ ما وفر لها بيئة داعمة طيلة مسيرة حياتها؛ فلم يكن التأسيس النبوي لها مجرد ممارسات حياتية متكررة، تحصل بين الوالد وابنته، أو مواقف عاطفية عابرة، تحكي حبه لها وعطفه عليها فحسب، وإنما كانت تأسيساً منهجياً مقصوداً من قبله ﷺ، اعتمد من خلاله أسساً وأركاناً متينة، مثلت التوازن والاعتدال، وجمعت بين الرحمة والحزم في التعامل، وفي ظل وجود المرئي القدوة، تدرجت في سلم المعرفة والتعلم وفق المنهج النبوي؛ لتصل إلى قمة الفضائل والأخلاق، وقد اتسم التأسيس النبوي لها بالشمول والتنوع في كل الجوانب وكافة المراحل، مما يدل على معرفته ﷺ بقيمة البناء المبكر والمستمر في التربية، وهو ما أنتج شخصية متوازنة مثلت النموذج الناجح للمرأة المسلمة؛ أهلتها لتكون سيدة نساء المؤمنين، ونظراً لأهمية هذا التأسيس؛ كانت هذه الدراسة بعنوان: (التأسيس النبوي للسيدة فاطمة رضي الله عنها)؛ حيث تهدف إلى الكشف عن خصائص التربية النبوية، ما يقدم للمجتمع المسلم مقومات بناء الشخصية الناجحة للمرأة المسلمة، من خلال استقراء النصوص النبوية وتحليلها، واستنباط الدلالات التربوية منها، ضمن مطلبين: الأول: يُعنى ببيان مقومات التأسيس النبوي، والثاني: يُعنى ببيان الآثار المترتبة على هذه العناية.

استلمت الورقة بتاريخ 2026/03/15، وقبلت بتاريخ 2026/04/22، ونشرت بتاريخ 2026/04/22

الكلمات المفتاحية:

فاطمة، التربية النبوية، خصائص التأسيس، أسس الرعاية النبوية.

مقدمة:

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين، سيدنا وقائدنا محمد، وعلى آله وصحبه، ومن سار على نهجه واتبع سنته إلى يوم الدين.

أما بعد:

فمما لا شك فيه أن بناء الإنسان من أهم مقومات نجاح الأمم وتقدمها؛ ولذا حرص النبي ﷺ على تأسيس الإنسان والاهتمام بتقويم سلوكه؛ ليكون لبنة قوية في صرح الأمة، ولما أن حظيت السيدة فاطمة - رضي الله عنها - بشرف تربيتها في كنف سيد الخلق ﷺ، حيث نشأت بين يديه، وحظيت بعنايته في كل مراحل حياتها؛ كانت هي النموذج الأمثل لمعرفة خصائص التربية النبوية للمرأة المسلمة؛ لأجل الوقوف على أبرز مقومات التأسيس التربوي النبوي لها من خلال تتبع جوانب رعايته لها، فكان هذا البحث بعنوان: (التأسيس النبوي للسيدة فاطمة رضي الله عنها).

من هنا جاء هذا البحث لتحليل المنظومة التربوية النبوية من خلال دراسة النصوص النبوية المتعلقة بالسيدة فاطمة - رضي الله عنها - لمعرفة أهم الأسس التي أسهمت في بناء شخصيتها الإيمانية والأخلاقية.

إشكالية البحث:

تبرز إشكالية البحث في الآتي:

ما مقومات التأسيس النبوي لشخصية السيدة فاطمة رضي الله عنها؟ وما أبعاده التربوية والأخلاقية والإيمانية عليها؟

أهمية البحث:

تكمن أهمية البحث في كونه:

1. يكشف عن المنهج النبوي في تأسيس الشخصية المتزنة - لاسيما - في ظل غياب الأسس الصحيحة للتربية في الواقع المعاصر؛ وذلك بعرض نموذج فريد وهو تربية النبي ﷺ لابنته، ما يوفر مرجعية واقعية يلجأ إليها المعنيون بتربية الأجيال.
2. يُظهر العناية بتأسيس المرأة المسلمة وفق أسس متوازنة، وأثر التكريم النبوي لها على بناء شخصيتها.

أهداف البحث:

تسعى الدراسة إلى تحقيق جملة من الأهداف أهمها:

1. الكشف عن مقومات التربية النبوية، وتحليل أبعادها وبيان خصائصها.
2. التعرف على الأسس التي اعتمدها النبي ﷺ في تربية ابنته.

3. تقديم نموذج تربوي يُقتدى به في كيفية التأسيس الصحيح للشخصية.
4. إبراز الآثار المترتبة على هذا التأسيس في بناء الشخصية المترنة.

أسباب اختيار البحث:

يرجع سبب اختيار هذا الموضوع إلى حاجة المجتمع المسلم الماسة لمعرفة الأسس التي انتهجها المصطفى ﷺ في التربية والرعاية؛ بُغية الاستفادة منها في وضع معالجات لواقعنا المرير، الذي يعاني غياب المقومات الصحيحة لدى المعنيين بالتربية والرعاية؛ ما أدى بالكثير من شباب اليوم إلى الضياع والانحراف عن جادة الطريق بسبب الإفراط أو التفريط.

منهج البحث:

اقتضت طبيعة البحث اتباع المنهج الاستقرائي المتمثل في تتبع النصوص النبوية المتعلقة بالسيدة فاطمة رضي الله عنها، والمنهج التحليلي عند دراسة النصوص وتحليلها واستنباط الأسس النبوية، واستخلاص الدلالات التربوية، والمنهج التاريخي في بيان سيرتها وحياتها.

حدود البحث:

تناول البحث مقومات التأسيس النبوية لشخصية السيدة فاطمة - رضي الله عنها - من خلال دراسة النصوص النبوية وتحليلها؛ لمعرفة البعد التربوي في رعايتها وتأسيسها، دون التوسع في الجوانب الأخرى مثل: الجانب التاريخي أو غيره.

الدراسات السابقة:

كثيرة هي الدراسات التي تناولت الحديث عن السيدة فاطمة - رضي الله عنها - سواء من حيث فضلها ومكانتها، أو من حيث سيرتها؛ غير أن هذه الدراسة تميزت عن غيرها كونها تناولت جانباً أدق؛ وهو الكشف عن معالم التأسيس النبوي لشخصيتها؛ من خلال استنباط خصائص التربية النبوية، والوقوف على أهم المقومات والأسس المتبعة من قبله ﷺ، الأمر الذي تقتقر إليه الدراسات السابقة، ومن تلك الدراسات ما يأتي:

1. فاطمة بنت النبي ﷺ سيرتها، فضائلها، مسندها، دراسة حديثة تاريخية موضوعية، للباحث إبراهيم بن عبد الله المديش، تناولت هذه الدراسة الأحاديث الواردة في سيرتها ببيان حالها مع أبيها وزوجها وابنيتها، والأحاديث الواردة في فضلها ومنزلتها عند أبيها ومنزلتها عند أبي بكر وعمر، ومنزلتها في العلم والعبادة، ومنزلتها يوم القيامة، دون التطرق إلى الأسس النبوية في تربيتها، أو استخلاص الدلالات التربوية من خلال دراسة حياتها مع أبيها.
2. سيادة فاطمة رضي الله عنها بنت رسول الله ﷺ دراسة تحليلية، للباحثة ميساء علي روابدة، تناولت هذه الدراسة مفهوم السيادة ومراتبها، وأسباب سيادتها ومقتضياتها، غير أن هذه الدراسة لم تُعنى بإبراز مقومات التربية النبوية لها وبيان الأسس في ذلك.

هيكل البحث:

تمهيد:

أولاً: بيان معنى التأسيس لغة واصطلاحاً.

ثانياً: التعريف بالسيدة فاطمة رضي الله عنها.

المطلب الأول: خصائص التربية النبوية للسيدة فاطمة رضي الله عنها.

أولاً: وجود المربي القدوة، وتوفير التوازن في التربية.

ثانياً: استمرارية التربية النبوية، وشموليتها.

المطلب الثاني: الأسس النبوية في رعاية السيدة فاطمة رضي الله عنها.

أولاً: تعزيز الجانب الوجداني والاجتماعي.

ثانياً: تعزيز الجانب الإيماني والأخلاقي.

خاتمة.

التمهيد:

أولاً: بيان معنى التأسيس لغة واصطلاحاً.

التأسيس في اللغة:

من الفعل أسس، وأصله من الأساس، والأس: أصل تأسيس البناء، وأسست داراً: بنيتُ حُدُودَها، ورفعته من قواعدها، ويُقال: هذا تأسيسٌ حسنٌ⁽¹⁾.

والأبسيس: أصل كل شيء، والأسُّ والأسس والأساس: كلُّ مُبَدَّدٍ شيءٍ، وأُسُّ البِنَاءِ: مُبَدَّدُهُ؛ وَقَدْ أُسَّ البِنَاءُ يُؤَسُّهُ أَسًّا وَأَسَّته تَأْسِيسًا⁽¹⁾.

1 - كتاب العين، الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري، أبو عبد الرحمن ت 170 هـ، تح: مهدي المخزومي، إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال، 334/7.

قال القاضي عياض: "الأس بالضمّ والتشديد أصل تأسيس البناء، وجمعه أسس بضمّ الجميع، وقيل: يفتح السين أيضا، وجمعه أساس بالمدّ، وقد جاء في حديث بناء الكعبة أيضا(2)، وأما الأساس بالفتح والكسر فواحد مقصور غير ممدود(3). وعليه فإن التأسيس في اللغة يدل على البناء المادي، مثل تأسيس البناء ورفع قواعده.

التأسيس في الاصطلاح:

ذكر الشوكاني معنى التأسيس بقوله: "تأسيس البناء: تثبيته ورفعته، ومنه تأسيس المسجد على التقوى في قوله تعالى: ﴿أَمَّنْ أَسَّسَ بُيُوتَهُ عَلَى تَقْوَى مِنْ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ خَيْرٍ أَمْ مَنْ أَسَّسَ بُيُوتَهُ عَلَى شَقَا جُرْفٍ هَارٍ فَأَنْهَارَ بِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ﴾⁴ بمعنى تأسيسه على الخصال التي تتقى بها العقوبة"⁽⁵⁾.

وبذلك فإن الشوكاني أورد المعنى المجازي للتأسيس إلى جانب بيئته للمعنى المادي وهو الموافق لمعناه اللغوي، حيث أورد الأسس المعنوية المشار إليها في النص القرآني عند بناء المسجد، وعليه فإن التأسيس قد يعبر به عن حقيقته وهو البناء المادي، وقد يشار إلى معناه المجازي مثل: تأسيس الإنسان، وهو مقصود هذا البحث فتأسيس النبي ﷺ لشخصية ابنته ليس مجرد تعليم فحسب، وإنما هو غرس للقيم والفضائل، وبناء لشخصية متكاملة على أسس صحيحة.

ثانيا: التعريف بالسيدة فاطمة رضي الله عنها (حياتها، علمها).

أ. اسمها ونسبها:

فاطمة بنت رسول الله ﷺ فأبوها سيد الله محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف القرشي، الهاشمي، وأما السيدة خديجة - رضي الله عنها - بنت خويلد بن أسد بن عبد العزى بن قصي، كُنيت بـ "أمّ أبيها" رضي الله عنها وأرضاها⁽⁶⁾.

ب. مولدها، ووفاتها:

أجمعت الروايات أن ولادتها - رضي الله عنها - كانت قبل بعثة النبي ﷺ؛ غير أنها اختلفت في تحديد زمنها إلى أقوال كثيرة منها:

أنها ولدت والكعبة تُبنى، قبل بعثته ﷺ بسبع سنين وستة أشهر، وعمره ﷺ حينها خمسا وثلاثين سنة⁽⁷⁾، وقيل: إنها ولدت قبل بعثته ﷺ بخمس سنين⁽⁸⁾، وقيل: ولدت قبل بعثته ﷺ بنحو سنة أو أكثر، وعمره إحدى وأربعين سنة⁽⁹⁾.

ج. وفاتها:

تباينت الأقوال حول وفاتها سواء في تحديد زمنها، أو في بيان سننها آنذاك إلى أقوال كثيرة أبرزها: إنها توفيت بعد رسول الله ﷺ بستة أشهر، وقيل: توفيت بعده بثلاثة أشهر، وقيل: إنها توفيت بعده بثمانية أشهر، وقيل: توفيت بعده بمائة يوم، وقيل: بسبعين، وقيل غير ذلك⁽¹⁰⁾.

وقد نقل الواقدي رواية عن عائشة في بيان زمن وفاتها جاء فيه أنها توفيت بعد النبي ﷺ بستة أشهر، ليلة الثلاثاء، في اليوم الثالث من رمضان، سنة إحدى عشرة من الهجرة، خاتما ذلك بقوله: وهو الثبت عندنا، وبه قال المدائني⁽¹⁾.

1- ينظر تهذيب اللغة، محمد بن أحمد بن الأزهر الهروي، أبو منصور ت 370هـ، تج: محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط: 1، 2001م، 96/13، لسان العرب، محمد بن مكرم بن علي، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الإفريقي، أبو الفضل ت 711هـ، دار صادر، بيروت، ط: 3، 1414هـ، 6/6-

2 - أخرج مسلم كتاب الحج، باب نقض الكعبة وبنائها، 1333/968/2.

3 - مشارق الأنوار على صحاح الآثار، عياض بن موسى بن عياض بن عمرو اليحصبي السبتي، أبو الفضل ت: 544هـ، المكتبة العتيقة ودار التراث 49/1.

4 - التوبة: 109.

5 - فتح القدير، محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني ت: 1250هـ، دار ابن كثير، دار الكلم الطيب، دمشق، بيروت، ط: 1، 1414هـ، 459/2.

6 - ينظر: الطبقات الكبرى، لأبي عبد الله محمد بن سعد ت: 230هـ، تج: محمد عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط: 1، 1410هـ - 1990م، 16/8-18، الاستيعاب في معرفة الأصحاب، لأبي عمر يوسف بن عبد البر ت 463هـ، تج: علي الجاوي، دار الجيل، بيروت، ط: 1، 1412هـ - 1992م، 4/1893-1895، أسد الغابة في معرفة الصحابة، لأبي الحسن علي بن أبي الكرم ابن الأثير، ت 630هـ، تج: علي معوض، عادل عبد الموجود، دار الكتب العلمية، ط: 1، 1415هـ - 1994م، 216/7، سير أعلام النبلاء، لأبي عبد الله محمد الذهبي، ت: 748هـ، تج: مجموعة من المحققين بإشراف شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، ط: 3، 1405هـ - 1985م، 119-118/2، الإصابة في تمييز الصحابة، لأحمد بن حجر العسقلاني ت: 852هـ، تج: عادل عبد الموجود، وعلى معوض، دار الكتب العلمية، بيروت، ط: 1، 1415هـ، 262/8-263.

7- ينظر: الإصابة في تمييز الصحابة، 263/8، تهذيب الكمال في أسماء الرجال، لأبي الحجاج يوسف بن عبد الرحمن المزي، ت 742هـ، تج: بشار عواد معروف، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط: 1، 1400هـ - 1980م، 251/35.

8- ينظر: الطبقات الكبرى، لابن سعد، 16/8.

9- ينظر: الاستيعاب، لابن عبد البر، 1893/4، الإصابة في تمييز الصحابة، لابن حجر، 263/8.

10- ينظر: الطبقات الكبرى، لابن سعد، 23/8، الاستيعاب، لابن عبد البر، 1898/4 - 1899، تهذيب الكمال، للمزي، 252/35-253.

وقد اختلف في سننها وقت وفاتها على أقوال منها: إنها توفيت وعمرها ثلاثون سنة، وقيل: خمس وثلاثون، غير أن ابن أبي شيبه ذكر أنها توفيت وعمرها سبع وعشرون سنة، وقال محمد بن إسحاق: إنها توفيت وعمرها ثمان وعشرون سنة، وقال المدائني: إنها توفيت وهي ابنة تسع وعشرين سنة⁽²⁾.

د. روايتها الحديث:

روت السيدة فاطمة - رضي الله عنه - الحديث عن أبيها ﷺ، وروى عنها ابنها الحسن والحسين، وزوجها علي بن أبي طالب، ونساء النبي ﷺ، منهم عائشة، وأم سلمة، كما روت عنها سلمى أم رافع، وأنس بن مالك - رضي الله عنه - وأرسلت عنها فاطمة الصغرى بنت الحسين وغيرها، وقد روى لها البخاري، ومسلم، وأبو داود، والترمذي، والنسائي، وابن ماجه⁽³⁾، وجاء في سير أعلام النبلاء أن لها ثمانية عشر حديثاً في مسند بقي بن مخلد، منها حديثٌ واحدٌ مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ⁽⁴⁾. والناظر إلى مروياتها في مدونات السنة يجد أنها قليلة جداً بالمقارنة مع مدة بقائها مع أبيها، ولعل مرجع ذلك وفاتها المبكرة، أو فوات تدوين مروياتها عند الأئمة.

المطلب الأول: خصائص التربية النبوية للسيدة فاطمة:

إن المتأمل في مسيرة حياة السيدة فاطمة - رضي الله عنها - يلحظ وجود مقومات أساسية، ارتكز عليها تأسيسها، حال دون وجود فجوات فيها في جميع مراحلها، وعلى مختلف جوانبها، فكان لهذا التكامل في التأسيس والشمول في العناية الدور الأساسي في بناء شخصيتها، وفيما يلي بيان لأبرز الخصائص التي اتسمت بها تربيتها، وهي:

أولاً: وجود المربي القدوة، وتوفر التوازن في التربية.

أ. المربي القدوة:

القدوة لغة من الفعل (قدا) له معان عدة منها ما جاء في لسان العرب بمعنى الأصل والأساس، "فالقو أصل البناء الذي يتشعب منه تصريف الاقتداء"⁽⁵⁾، أما في الاصطلاح فالقدوة هو الأسوة، قال القرطبي: "الأسوة ما يتأسى به، فيقتدى به في جميع أفعاله ويتعزى به في جميع أحواله"⁽⁶⁾.

فالإنسان القدوة من كان مثالا يقتدى به في كل شيء؛ لذا فهو من أهم الخصائص التي تميز أي تربية ناجحة وجود المربي القدوة؛ الذي تعكس أفعاله أقواله، فتتجسد الأخلاق الحسنة في حركاته وسكناته؛ فيكون ذلك أدعى لحصول التلقي؛ إذ ليس هناك أنجع لقبول المتلقي في التربية والتعليم من أن يكون المربي له قدوة لما يرشد إليه، وهذا ما حظيت به السيدة فاطمة - رضي الله عنها - في تربيتها، حيث كان المربي لها قدوة الخلق، سيدنا محمد ﷺ، قال تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ إِسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾⁽⁷⁾، وهو المتخلق بأخلاق القرآن، السائر وفقه في الأقوال والأفعال، فعن سعد بن هشام رضي الله عنه، قال: أتيت عائشة فقلت: يَا أُمَّ الْمُؤْمِنِينَ، أَخْبِرِينِي بِخُلُقِ رَسُولِ اللَّهِ - ﷺ - قَالَتْ: كَانَ خُلُقَهُ الْقُرْآنَ، أَمَا تَقْرَأُ الْقُرْآنَ، قَوْلَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾⁽⁸⁾⁽⁹⁾.

هذا التتابع بين شخصيته - ﷺ - وتعاليم القرآن، جسدت صورة عملية بشرية لتعاليم القرآن تطبيقاً عملياً، ومثالاً حقيقياً لحياة كاملة، تجسدت فيها أخلاق القرآن، وتمثلت في سلوكه أداؤه.

من هنا فإننا نجد أن السيدة فاطمة - رضي الله عنها - حظيت بوجودها في كنف القدوة الحسنة - ﷺ - تربت بين يديه، وترعرعت أمام عينيه، يوماً بعد يوم، وسنة بعد أخرى، أدبها فأحسن تأديبها، وربها فأحسن تربيتها، وهو ما انعكس على شخصيتها وأخلاقها كما سيأتي بيانه لاحقاً في المطلب الثاني.

ب. التوازن:

إن من أهم الخصائص التي تميزت بها التربية النبوية، توافر التوازن فيها، سواء أكان في أساليبها ووسائلها، أم في الأسس التي تبنى عليها وجوانبها المحيطة بها.

1 - ينظر: الطبقات الكبرى، لابن سعد، 23/8، الاستيعاب، لابن عبد البر، 1899/4.
2 - ينظر: الطبقات الكبرى، لابن سعد، 23/8، الاستيعاب، لابن عبد البر، 1899/4، تهذيب الكمال، للمزي، 35/251، سير أعلام النبلاء، للذهبي، 128/2.
3 - تهذيب الكمال للمزي، 247/35.
4 - سير أعلام النبلاء، للذهبي، 134/2.
5 - ابن منظور، مادة (قدا)، 171/15.
6 - الجامع لأحكام القرآن، لمحمد بن أحمد شمس الدين القرطبي، تح: أحمد البردوني، وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية، القاهرة، ط:2، 1384هـ، 155/14.
7 - الأحزاب:21.
8 - أخرجه أحمد في مسنده، مسند الصديقة عائشة، 24601/148/41. مسند الإمام أحمد بن حنبل، الإمام أحمد بن حنبل ت 241هـ، تح: شعيب الأرنؤوط ت 1438هـ، عادل مرشد وآخرون، مؤسسة الرسالة، ط:1، 1421 هـ - 2001 م، حديث صحيح، المبارك بن فضالة يدلس ويسوي إلا أن ما رواه عن الحسن يحتج به فيما قال أحمد، وقد توبع، وبقيته رجاله ثقات رجال الشيخين.
9 - القلم: 4.

وهو ما حظيت به - رضي الله عنها - في تأسيسها، فقد كان التوازن حاضراً في كافة مراحل حياتها، من الطفولة وحتى الوفاة، وبمختلف جوانبها، الوجدانية والاجتماعية والإيمانية والأخلاقية وغيرها، فالمتتبع لحال المصطفى - ﷺ - مع ابنته - رضي الله عنها - يلحظ أنها تربت في وسط لا إفراط فيه ولا تقريط، ولا إهمال فيه ولا تدليل؛ وإنما رعاية وصيانة، وإرشاداً وتوجيهً بأسمى الأساليب التربوية.

ففي الوقت الذي كان يُظهر النبي ﷺ لها حبه واهتمامه ويغدقه عليها غدقا، نجده في المقابل يحرص كل الحرص على غرس قيم التحمل والصبر على الآلام، وتقويم ما يراه يحتاج إلى تقويم، بأسلوب نبوي فريد قلَّ نظيره. ومن تلك المواقف التي برز فيها تقدير النبي - ﷺ - واحترامه لها وتبجيله، ما روتها السيدة عائشة - رضي الله عنها - واصفة ترحيبه بابنته - رضي الله عنها - حيث قالت: **"وَكَاثَتْ إِذَا دَخَلَتْ عَلَى النَّبِيِّ - ﷺ - قَامَ إِلَيْهَا فَقَبَّلَهَا وَأَجْلَسَهَا فِي مَجْلِسِهِ(1)**.

ذكرت السيدة عائشة رضي الله عنها في هذا الحديث صفة استقبال النبي - ﷺ - لابنته؛ حيث كان يقف ترحيباً بقدمها، ثم يقبلها ويجلسها مجلسه، وقد وصل مقدار حبه لها، ومكانتها عنده أنه - ﷺ - لم يرض بأن تتعرض لأدنى أذية؛ بل جعل إيذاءها إيذاءً له؛ وهو أسمى درجات المحبة.

ومن المواقف التي برز فيها دعم المصطفى - ﷺ - ما جاء عن عبد الله بن الزبير - رضي الله عنه - أن علياً - رضي الله عنه - ذكر بنت أبي جهل، فبلغ ذلك النبي ﷺ فقال: **«إنما فاطمة بضعة(2) مني يؤذيني ما آذاها، وينصبني ما أنصبها»(3)**. تجلى في هذا الحديث أسمى معاني الدعم بالفعل والقول، حيث مثل السند الحقيقي من الوالد لابنته، فلم يرض بوقوع ما من شأنه إيذاؤها، وما يكدر صفو حياتها، وهو ما سيتم بيانه بشيء من التفصيل لاحقاً.

غير أن هذه المنزلة الرفيعة التي حظيت بها - رضي الله عنها - لم تمنعه من إرشادها وتوجيهها عندما استدعى الأمر ذلك، وهو ما يفتقده أغلب المرءين في واقعنا، فهم على طرفي نقيض، بين من لم يتقنوا في تربية بناتهم إلا فنون الشدة والقسوة والظلم، وبين آباء طغى عليهم جانب العاطفة فأفراطوا في التدليل؛ ما أدى بهم إلى الإفساد ومن ثم الفساد، إلا من رحم ربي.

فمن المواقف التي تجسد فيها توجيهها لها - ﷺ - حثها على الصبر وتحمل المشاق، والاعتماد على النفس في مواجهة مشقة العيش، وذلك حينما طلب منها زوجها علي - رضي الله عنه - أن تذهب لأبيها لتطلب منه أن يمدّها بالخدم ليعينهما على مشقة العمل، لم يوافق - ﷺ - على طلبها، وإنما وجهها لما هو خير لها، وهو الاستعانة بالله - عز وجل - على تحمل الأعباء، والاعتماد على النفس في تسيير أمور الحياة، عن علي - رضي الله عنه - أنه قال **"لِفَاطِمَةَ ذَاتِ يَوْمٍ: وَاللَّهِ لَقَدْ سَنَوْتُ(4) حَتَّى لَقَدْ اسْتَكَيْتُ صَدْرِي، قَالَ: وَقَدْ جَاءَ اللَّهُ أَبَاكَ بِسَبِي، فَادْهَبِي فَاسْتَخْدِمِيهِ، فَقَالَتْ: وَأَنَا وَاللَّهِ لَقَدْ طَحَنْتُ حَتَّى مَجَلَّتْ(5) يَدَايَ، فَأَتَتْ النَّبِيَّ - ﷺ - فَقَالَ: مَا جَاءَ بِكَ أَيُّ بَنِيَّةٍ؟ قَالَتْ: جِئْتُ لِأَسْلَمَ عَلَيْكَ، وَاسْتَحَيْتُ أَنْ تَسْأَلَ رَجَعْتُ، فَقَالَ: مَا فَعَلْتُ؟ قَالَتْ: اسْتَحَيْتُ أَنْ أَسْأَلَهُ، فَأَتَيْتَاهُ جَمِيعًا، فَقَالَ عَلِيٌّ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَاللَّهِ لَقَدْ سَنَوْتُ حَتَّى اسْتَكَيْتُ صَدْرِي، وَقَالَتْ فَاطِمَةُ: قَدْ طَحَنْتُ حَتَّى مَجَلَّتْ يَدَايَ، وَقَدْ جَاءَكَ اللَّهُ بِسَبِي وَسَعَةَ فَأَخْذَمْنَا، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - وَاللَّهِ لَا أُعْطِيكُمْ وَأَدْعُ أَهْلَ الصَّفَةِ تَطَوَّى بِطُونَهُمْ، لَا أَجِدُ مَا أَنْفَقُ عَلَيْهِمْ، وَلَكِنِّي أَبِيعُهُمْ وَأَنْفَقُ عَلَيْهِمْ أَثْمَانَهُمْ فَرَجَعَا، فَأَتَاهُمَا النَّبِيُّ - ﷺ - وَقَدْ دَخَلَا فِي قَطِيفَتِهِمَا، إِذَا عَطَّتْ رُؤُوسَهُمَا تَكَشَّفَتْ أَقْدَامُهُمَا، وَإِذَا عَطَّتَا أَقْدَامَهُمَا تَكَشَّفَتْ رُؤُوسُهُمَا، فَنَارًا، فَقَالَ: مَكَاتُكُمْ تُمْ قَالَ: أَلَا أُخْبِرُكُمْمَا بِخَيْرٍ مِمَّا سَأَلْتُمَانِي؟ قَالَ: بَلَى، فَقَالَ: كَلِمَاتٌ عَلَّمْنِيهِنَّ جَبْرِيلُ، فَقَالَ: تُسَبِّحَانِ**

1 - أخرجه الترمذي في سننه، أبواب المناقب، باب ما جاء في فضل فاطمة رضي الله عنها، 3872/700/5، سنن الترمذي، لمحمد بن عيسى بن الضحاك، الترمذي، أبي عيسى ت 279هـ، تح: أحمد شاكر، وآخرون، مطبعة مصطفى البابي - مصر، ط2، 1395هـ - 1975م. قال أبو عيسى: «هذا حديث حسن صحيح غريب من هذا الوجه، وقد روي هذا الحديث من غير وجه عن عائشة».

2 - بضعة بالفتح والكسر والضم، والأشهر أن تقال: بالفتح، وهي القطعة من اللحم، وهنا معناها: قطعة مني، وجزء مني. ينظر: غريب الحديث والأثر 133/1، النهاية في غريب الحديث والأثر، لأبي السعادات المبارك بن محمد الشيباني الجزري ابن الأثير ت: 606هـ، تح: طاهر أحمد الزاوي - محمود محمد الطناحي، المكتبة العلمية - بيروت، 1399هـ - 1979م.

3 - أخرجه الترمذي في سننه، أبواب المناقب، باب ما جاء في فضل فاطمة رضي الله عنها، 3869/698/5. قال أبو عيسى: هذا حديث حسن صحيح هكذا قال أيوب: عن ابن أبي مليكة، عن ابن الزبير، وقال غير واحد عن ابن أبي مليكة، عن المسور بن مخرمة، ويحتمل أن يكون ابن أبي مليكة، روى عنهما جميعاً "وقد رواه عمرو بن دينار، عن ابن أبي مليكة، عن المسور بن مخرمة نحو حديث الليث.

4 - سنوت: استقيت من البئر، والسواني جمع سانية، وهي الناقة التي يُسْتَقَى عَلَيْهَا. النهاية في غريب الحديث والأثر، لابن الأثير، 415/2، فتح الباري شرح صحيح البخاري، لأبي الفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني الشافعي، دار المعرفة - بيروت، 1379هـ، رقم كنه وأبوابه وأحاديثه: محمد فؤاد عبد الباقي، قام بإخراجه وصححه وأشرف على طبعه: محب الدين الخطيب، 119/11.

5 - يقال: مَحَلَّتْ يَدُهُ تَمَجُّلٌ مَجَلًّا، إِذَا تَخَّنَ جِلْدُهَا، وَظَهَرَ فِيهَا مَا يَشْبَهُ الْبَثْرَ، نَتِجَةَ الْأَعْمَالِ الشَّقَاةِ، وَاسْتِعْمَالَ الْأَشْيَاءِ الْخَشِينَةِ. النهاية في غريب الحديث والأثر، 300/4.

فِي دُبُرِ كُلِّ صَلَاةٍ عَشْرًا، وَتَحْمَدَانِ عَشْرًا، وَتَكْبِيرَانِ عَشْرًا، وَإِذَا أُوَيْتُمَا إِلَى فِرَاشِكُمَا فَسَبِّحَا ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ، وَاحْمَدَا ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ، وَكَبِّرَا أَرْبَعًا وَثَلَاثِينَ قَالَ: فَوَ اللَّهُ مَا تَرَكَتُهُنَّ مُنْذُ عَلَّمَنِيهِنَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ⁽¹⁾.

إن الممعن في الحوار الدائر بين الرسول - ﷺ - وابنته وزوجها؛ يتبين له أمور عدة تدل على شرف المرَبِّي والمترَبِّي، ومن ذلك:

- لم تمنعه - ﷺ - محبته الشديدة لها، وحرصه على إرضائها، من تقديم مصلحة من هم أولى منها، وهم أهل الصُّفَّة، على الرغم من شدة عوزها وحاجتها؛ لأن المقام يستدعي ذلك، دون محاباة ولا تدليل، وإنما نصح وإرشاد وتوجيه.
- يُبرز لنا الحديث أيضًا جانباً دقيقاً من شخصية السيدة فاطمة - رضي الله عنها - وهو عفة نفسها وحيائها من طلب المسألة، وإن كانت من أبيها، وتواضعها على الرغم من معرفتها بمكانتها عنده، وفطنتها في معرفة رده مسبقاً؛ فحينما طلب منها زوجها سؤال أبيها - ﷺ - ذهبت إليه في المرة الأولى، وأحجمت عن الطلب، وهي بأسمى الحاجة إليه.
- إن المتأمل في كيفية توجيه النبي - ﷺ - لابنته يتجلى له أسمی درجات المحبة والرفق في التعامل، فعلى الرغم من رفضه لطلبها - وهي الغالية على قلبه - وعلمه المسبق بأنها لا تطلب إلا لحاجة ماسة، فليست هي من تطلب الخدم من أجل الرفاهية ورغد العيش؛ وإنما كان بسبب صعوبة الحياة، وضنك العيش، وشدة الألم التي كانت تعانيه، حتى عجزت عن التحمل أكثر؛ من أجل ذلك كله لحق بها - ﷺ - هي وزوجها، فواسهما بزيارته وأرشدهما لما يعينهما، بما هو خير لهما في الدنيا والآخرة.
- سرعة استجابتهما لهذا الإرشاد والتوجيه؛ بل والمواظبة عليه طول حياتهما، وهو ما ذكره علي - رضي الله عنه - حينما قال: "فوالله ما تركتهن منذ علمنيهن رسول الله ﷺ".

ثانياً: استمرارية التربية وشموليتها

من الخصائص التي تميزت بها التربية النبوية الاستمرارية في الرعاية، والشمول في الإحاطة، فلم تكن رعايته لابنته - ﷺ - مقتصرة على مرحلة محددة من عمرها، أو موجهة لجانب دون الآخر، وفيما يلي بيانٌ لذلك:

أ. رعايته لها في طفولتها:

تعدّ مرحلة الطفولة من أهم المراحل التي تحتاج إلى رعاية الأهل واهتمامهم؛ إذ هي الأساس لما بعدها، حيث تُبنى عليها شخصية الإنسان، وتتبلور وفقها طباعه، ومن أبرز ما تحتاج إليه هذه المرحلة إظهار الحب للطفل، وتعهده بالرعاية والحنان، وهو ما حظيت به السيدة فاطمة - رضي الله عنها - في طفولتها، فقد أغدق عليها حبه غدقاً، وأعلنه بين أصحابه حتى أضحت من المسلمات عندهم، ومن ذلك حينما سئلت السيدة عائشة - رضي الله عنها - من أحب الناس إلى النبي - ﷺ - كانت تجيب فاطمة.

وعن جميع بن عمير التيمي، قال: دخلت مع عمتي على عائشة فسألت أي الناس كان أحب إلى رسول الله ﷺ؟ قالت: «فاطمة»، فقيل: من الرجال؟ قالت: «زوجها»، إن كان ما علمت صواماً قواماً⁽²⁾.

ب. حرصه على رضاها:

ومما جاء في بيان محبته لها أن جعل غضبها سبباً لغضبه، فعن المسور بن مخرمة، أن رسول الله ﷺ، قال: «فَاطِمَةُ بَضْعَةٌ مِنِّي، فَمَنْ أَغْضَبَهَا أَغْضَبْتَنِي»⁽³⁾.

وقد أسهمت محبة النبي - ﷺ - لها في تكوين شخصيتها المتزنة عاطفياً ونفسياً وسلوكياً، وبنائها بناءً متيناً؛ حتى أضحت قادرة على مواجهة الصِّعَاب، والأحاديث الواردة في ذلك كثيرة، سيأتي بيانها لاحقاً.

ج. رعايته لها عند تزويجها:

من المعلوم أن السيِّدة فاطمة فقدت أمها في سن مبكرة، فكان لها النبي - ﷺ - الأم والأب، ظهرت رعايته لها في مراعاته لتفاصيل حياتها، حيث اعتنى بأدق التفاصيل لها، بدءاً باختيار الكفء لها، مروراً بالمهر ولوازم البيت، وانتهاءً بمتابعة شؤون حياتها بعد الزواج.

د. اختيار الزوج الكفاء:

1 - أخرجه أحمد في مسنده، مسند علي بن أبي طالب، 838/203/2. إسناده حسن، حماد- وهو ابن أبي سلمة- روى عن عطاء بن السائب قيل الاختلاط وبعده، وقد تويع.

2 - أخرجه الترمذي في سننه، أبواب المناقب، باب ما جاء في فضل فاطمة رضي الله عنها، 3874/701/5. قال أبو عيسى: هذا حديث حسن غريب. وأبو الجحاف اسمه: داود بن أبي عوف، ويروى عن سفيان الثوري، قال: حدثنا أبو الجحاف، وكان مرضياً.

3 - أخرجه البخاري، كتاب المناقب، باب مناقب قرابة رسول الله ﷺ، ومنقبة فاطمة عليها السلام بنت النبي ﷺ، 3714/21/5، الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه، لمحمد بن إسماعيل البخاري، تح: محمد زهير الناصر، دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة تزييم محمد عبد الباقي، ط: 1، 1422 هـ).

حرص النبي ﷺ عند اختيار زوج ابنته على جملة من المعايير التي من شأنها إدامة المودة والسكينة فيما بينهما، ذكرها في معرض بيانه فضل علي - رضي الله عنها - لابنته قائلاً: «لَقَدْ رَوَّجْتِكِ وَإِنَّهُ لَأَوَّلُ أَصْحَابِي سَلَمًا، وَأَكْثَرُهُمْ عِلْمًا، وَأَعْظَمُهُمْ حِلْمًا»⁽¹⁾. جاء في مسند أحمد من حديث معقل بن يسار، حينما ذهب النبي ﷺ - يعوذ فاطمة في مرضها، "فسألها: "كَيْفَ تُجِدِينِك؟ قَالَتْ: وَاللَّهِ لَقَدْ أَشْتَدَّ حُزْنِي، وَأَشْتَدَّتْ فَأَقْتِي، وَطَالَ سَقَمِي" ... "قال: أَوْ مَا تَرْضَيْنِ أَنِّي رَوَّجْتُكَ أَقْدَمَ أُمَّتِي سَلَمًا، وَأَكْثَرَهُمْ عِلْمًا، وَأَعْظَمُهُمْ حِلْمًا"⁽²⁾.

وبالنظر إلى هذه المعايير التي وضعها - ﷺ - لاختيار الزوج، تجده ركز على ركائز ثلاث أساسية يُبنى عليها غيرها، ولا سعادة لأسرة بدونها أو أحدها وهي: (الدين والعلم والخلق)، فمتى ما توفرت في أي زوج كان ذلك مدعاة لتأسيس حياة هانية، فالنبي - ﷺ - أسس لقواعد عامة لإنجاح أيِّ زوج، فاخياره لصفة الحلم دون غيرها، وهي ضبط النفس، وكظم الغيظ عند الغضب، والتأني والصبر وعدم العجلة؛ لأن التحلي بهذه الصفات يدل على الحكمة، وكمال العقل، ورجاحة الرأي، والالتزان في التصرف، فلا يثور صاحبها لأنفه الأمور، وهذا تماماً ما تحتاجه الأسر المسلمة؛ كي تتجح وهو سبب للبعد عن الخلافات المؤدية في كثير من الأحيان إلى الطلاق وتشتت الأسر، وضياع الأطفال؛ لأسباب واهية، وهو الحاصل في واقعنا.

د. حرصه على تقرير مهر لها:

ومن الأمور التي حرص النبي ﷺ على توفيرها لابنته تقرير مهر لها، دون النظر إلى مقداره أو قيمته، وقد اختلفت الروايات في بيانه على أقوال منها:

* إنه أمهرها درعاً:

فمن علي - رضي الله عنه - قال: أَرَدْتُ أَنْ أُحْطَبَ إِلَيَّ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - ابْنَتَهُ، فَقُلْتُ: مَا لِي مِنْ شَيْءٍ فَكَيْفَ؟ ثُمَّ ذَكَرْتُ صَلَاتَهُ وَعَابِدَتَهُ، فَحَطَبْتُهَا إِلَيْهِ، فَقَالَ: هَلْ لَكَ مِنْ شَيْءٍ؟ قُلْتُ: لَا قَالَ: فَأَيْنَ بَرْعُكَ الْخَطْمِيَّةُ الَّتِي أُعْطَيْتُكَ يَوْمَ كَدَا وَكَدَا؟ قَالَ: هِيَ عِنْدِي، قَالَ: فَأَعْطَيْتُهَا إِيَّاهُ⁽³⁾، وقيل: إن الدرع إنما قدمها من أجل الدخول بأمر من رسول الله ﷺ⁽⁴⁾.

و. زواجها:

كان زواجها من علي - رضي الله عنه - بعد غزوة أحد، وقيل: بعد أن ابنتى النبي ﷺ بعائشة بأربعة أشهر ونصف، وبنى بها بعد تزويجه إياها بتسعة أشهر ونصف، وعمرها آنذاك خمس عشرة سنة، وعمر زوجها إحدى وعشرون سنة⁽⁵⁾، وقد رزق منها الحسن، والحسين، وأم كلثوم، وزينب، ولم يتزوج عليها في حياتها رضي الله عنها⁽⁶⁾.

ز. متابعة رعايتها في بيت زوجها:

استمرت رعاية النبي ﷺ لابنته - رضي الله عنها - بعد زواجها، وتجلت هذه الرعاية في صور منها:

ح. حرصه على استقرار حياتها الزوجية:

فقد حال - ﷺ - دون نشوب أي خلاف بينها وبين زوجها، بوسائل منها: الدعاء لهما بالبركة، والتوجيه والإصلاح عند وجود خلاف، وتخفيف المشقة عنهما بتوجيهاته؛ بل حرص على منع مسببات التوتر، وحال دون وقوعها.

فمن المسور بن مخرمة، قال: إِنَّ عَلِيًّا حَطَبَ بِنْتُ أَبِي جَهْلٍ فَسَمِعَتْ بِذَلِكَ، فَاطْمَةٌ فَأَتَتْ رَسُولَ اللَّهِ - ﷺ - فَقَالَتْ: يَرْعُمُ قَوْمَكَ أَنْتَ لَا تُغْضِبُ لِبَنَاتِكَ، وَهَذَا عَلِيٌّ نَاكِحٌ بِنْتُ أَبِي جَهْلٍ، فَقَامَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - فَسَمِعْتُهُ حِينَ تَشْهَدُ، يَقُولُ: «أَمَّا بَعْدُ: أَنْكَحْتُ أَبَا الْعَاصِ بْنِ الرَّبِيعِ، فَحَدَّثَنِي وَصَدَّقَنِي، وَإِنَّ فَاطِمَةَ بَضْعَةٌ مِنِّي وَإِنِّي أَكْرَهُ أَنْ يَسُوءَ هَا، وَاللَّهِ لَا تَجْتَمِعُ بِنْتُ رَسُولِ اللَّهِ - ﷺ - وَبِنْتُ عَدُوِّ اللَّهِ، عِنْدَ رَجُلٍ وَاحِدٍ» فَتَرَكَ عَلِيٌّ الْخُطْبَةَ⁽⁷⁾.

غضب لها النبي - ﷺ - حينما علم أن علياً أراد خطبة بنت أبي جهل على ابنته، وفي رواية عن المسور بن مخرمة، أنه سمع رسول الله - ﷺ - على المنبر، وهو يقول: «إِنَّ بَنِي هِشَامِ بْنِ الْمُعْبِرَةِ اسْتَأْذَنُونِي أَنْ يَنْكِحُوا ابْنَتَهُمْ عَلِيٌّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ، فَلَا أَذْنَ لَهُمْ، ثُمَّ لَا أَذْنَ لَهُمْ، ثُمَّ لَا أَذْنَ لَهُمْ، إِلَّا أَنْ يُجِبَ ابْنُ أَبِي طَالِبٍ أَنْ يُطْلِقَ ابْنَتِي وَيَنْكِحَ ابْنَتَهُمْ، فَإِنَّمَا ابْنَتِي بَضْعَةٌ مِنِّي، يَرِيئِنِّي مَا آدَاهَا»⁽⁸⁾.

1 - أخرجه الطبراني في الكبير، صفة علي بن أبي طالب ﷺ، 156/94/1. وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد، باب مناقب علي ﷺ، باب إسلامه ﷺ، 14591/101/9، وعزاه للطبراني في الكبير وقال: وهو مرسل صحيح الإسناد.

2 - أخرجه أحمد في مسنده، 20307/26/5، والطبراني في الكبير، باب الميم، نافع بن أبي نافع عن معقل بن يسار، 538/229/20، قال أبو عبد الرحمن: وحدث في كتاب أبي بخط يده، في هذا الكتاب، قال أو ما ترضين أني روجتكم أقدم أممي سلمًا، وأكثرهم علمًا، وأعظمهم حيلًا. وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد، 14595/101/9، عزاه لأحمد والطبراني وقال: وفيه خالد بن طهمان، وثقه أبو حاتم وغيره، وثقه رجاله ثقات.

3 - أحمد في مسنده، مسند علي بن أبي طالب، 603/80/1. عزاه الهيثمي في مجمع الزوائد إلى أحمد، وقال: فيه رجل لم يُسم، وثقه رجاله رجال الصَّحِيح 7496/283/4، وله شاهد عند أبي داود من حديث ابن عباس رضي الله عنهما. أخرجه أبو داود في سننه، كتاب النكاح، باب في الرجل يدخل بامرأته قبل أن ينقدها شيئًا، 2125/240/2.

4 - الاستيعاب، لابن عبد البر، 1894/4.

5 - الاستيعاب، لابن البر، 1893/4.

6 - الاستيعاب، لابن عبد البر، 1894/4.

7 - أخرجه البخاري، كتاب أصحاب النبي ﷺ، باب ذكر أصهار النبي ﷺ، 3729/22/5.

8 - أخرجه مسلم، كتاب فضائل الصحابة ﷺ، باب فضائل فاطمة بنت النبي ﷺ، 2449/1902/4، المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله ﷺ، لمسلم بن الحجاج أبي الحسن القشيري النيسابوري ت 261هـ، تح: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي - بيروت، دط، دت.

المطلب الثاني: الأسس النبوية في رعاية السيدة فاطمة رضي الله عنها.

أولاً: تعزيز الجانب الوجداني والاجتماعي.

تُظهر لنا مرويات السنة اهتمام النبي - ﷺ - بتعزيز الجانب الوجداني لدى ابنته؛ الأمر الذي كان له بالغ الأثر في تأسيسها - رضي الله عنها - حيث تربت محاطة بالحب والاهتمام والتقدير، مصحوبة بالرعاية والتوجيه بأساليب التحبب والتودد، ومن ذلك ما يأتي:

1. إعلان مكانتها في قلبه:

لم يكتف - ﷺ - بإشعارها بحبه لها فحسب؛ وإنما حرص على إظهاره أمام العامة والخاصة، بأفعاله وأقواله؛ ومن ذلك حينما كان يُسأل عن أحب الناس إليه، كان يجيب مفتخراً: فاطمة بنت محمد.

فمن أسامة بن زيد، قال: كُنْتُ جَالِسًا إِذْ جَاءَ عَلِيٌّ وَالْعَبَّاسُ يَسْتَأْذِنَانِ، فَقَالَ: يَا أَسَامَةَ اسْتَأْذِنْ لَنَا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ - ﷺ - فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ عَلِيٌّ وَالْعَبَّاسُ يَسْتَأْذِنَانِ، فَقَالَ: أَنْتَدِرِي، مَا جَاءَ بِهِمَا؟ قُلْتُ: لَا، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: لَكِنِّي أَدْرِي، فَأَذِنَ لَهُمَا، فَدَخَلَا، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ جِئْنَاكَ نَسْأَلُكَ أَيُّ أَهْلِكَ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟ قَالَ: فَاطِمَةُ بِنْتُ مُحَمَّدٍ، فَقَالَ: مَا جِئْنَاكَ نَسْأَلُكَ عَنْ أَهْلِكَ. قَالَ: أَحَبُّ أَهْلِي إِلَيَّ مَنْ قَدْ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتُ عَلَيْهِ أَسَامَةُ بْنُ زَيْدٍ. قَالَ: ثُمَّ مَنْ؟ قَالَ: ثُمَّ عَلِيٌّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ. قَالَ الْعَبَّاسُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ جَعَلْتَ عَمَّكَ آخِرَهُمْ؟ قَالَ: لَأَنْ عَلِيًّا قَدْ سَبَقَكَ بِالْهَجْرَةِ⁽¹⁾.

ومن مظاهر محبته لها سعيه الدائم - ﷺ - لرضاها، صرّح بذلك بعبارات منها: أما ترضين يا فاطمة، ألا ترضين، أما يسرك، إن الله يرضى لرضاك، ومن ذلك ما جاء عن عائشة رضي الله عنها، عنه ﷺ قوله: «أَمَا تَرْضَيْنَ أَنْ تَكُونِي سَيِّدَةَ نِسَاءِ أَهْلِ الْجَنَّةِ، أَوْ نِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ» فَضَحَّكَ لُذْلُكَ⁽²⁾.

وجاء في صحيح مسلم قوله - ﷺ - «يَا فَاطِمَةُ أَمَا تَرْضَيْنَ أَنْ تَكُونِي سَيِّدَةَ نِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ، أَوْ سَيِّدَةَ نِسَاءِ هَذِهِ الْأُمَّةِ» قَالَتْ: فَضَحَّكَ ضُحْكِي الَّذِي رَأَيْتَ⁽³⁾.

وفي وصفه ﷺ لها بالسيادة دلالة على مكانتها وفضلها على غيرها، قال ابن حجر في فتح الباري: "وأقوى ما يستدل به على تقديم فاطمة على غيرها من نساء عصرها ومن بعدهن إلا مريم قوله ﷺ أنها سيِّدة نساء العالمين"⁽⁴⁾.
وقولها (فضحكت) قال الكرمانى: " فإن قلت: الضحك ههنا متعقب على كونها أول اللاحقات به، وثمة على كونها سيِّدة النساء، قلت: قد يترتب الضحك على الأمرين جميعاً، وعلى كل واحد منهما"⁽⁵⁾.
وفي كل فإنه يدل على مدى حرصه ﷺ على رضاها وإسعادها، وإدخال السرور في قلبها.

2. إظهار الحفاوة عند استقبالها:

إن من أبرز مظاهر حيِّه لها وتوقيره إظهار الحفاوة عند استقبالها بالألفاظ والأفعال؛ فكان يقوم عند دخولها، مرحباً بها بالألفاظ التحبُّب قائلًا: مرحبا بابنتي، ويأخذ بيدها، ويجلسها في مجلسه، وفي بعض الروايات يجلسها عن يمينه أو عن شماله، وكذلك حالها معه عند قدمه عليها.

فمن عائشة رضي الله عنها - قَالَتْ: اجْتَمَعَ نِسَاءُ النَّبِيِّ - ﷺ - فَلَمْ يُعَادِرْ مِنْهُنَّ امْرَأَةً، فَجَاءَتْ فَاطِمَةَ تَمْشِي كَأَنَّ مِشْيَتَهَا مِشْيَةُ رَسُولِ اللَّهِ - ﷺ - فَقَالَ: «مَرْحَبًا بِابْنَتِي» فَأَجْلَسَهَا عَنْ يَمِينِهِ أَوْ عَنْ شِمَالِهِ⁽⁶⁾.

وقوله: مرحبا في اللغة أي: لقيت رحبا وسعة، ورحب الله بك مرحبا⁽⁷⁾، فهي من الألفاظ الدالة على الحفاوة والترحاب، وترحيبه ﷺ بها يؤكد الانسجام الظاهر، والعلاقة المتينة بين الأب المحب، والابنة المحبة البارّة، علاقة أساسها الحب والاحترام، وركائزها الاهتمام والتقدير والاحترام ومن ذلك:

1 - أخرجه الترمذي في سننه، أبواب المناقب، باب مناقب أسامة بن زيد ﷺ، 3819/678/5، والحاكم في مستدركه، كتاب التفسير، تفسير سورة الأحزاب، 3562/452/2. كليهما من طرق عن عُمرُ بْنُ أَبِي سَلْمَةَ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ أَسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ بنحوه. قال أبو عيسى: هذا حديث حسن، وَكَانَ شُعْبَةُ يُضَعِّفُ عُمرُ بْنُ أَبِي سَلْمَةَ. وقال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، وقال الذهبي في التلخيص عمر بن أبي سلمة ضعيف. المستدرک على الصحيحين، لأبي عبد الله الحاكم محمد بن عبد الله النيسابوري ت 405هـ، تح: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية - بيروت، ط: 1، 1411هـ - 1990م.

2 - أخرجه البخاري، كتاب المناقب، باب علامات النبوة في الإسلام، 3623/203/4.

3 - أخرجه مسلم، كتاب فضائل الصحابة ﷺ، باب فضائل فاطمة بنت النبي ﷺ، 2450/1904/4.

4 - 132/7.

5 - الكواكب الدراري في شرح صحيح البخاري، محمد بن يوسف بن علي بن سعيد، شمس الدين الكرمانى ت 786هـ، دار إحياء التراث العربي، بيروت-لبنان، ط: 2، 1401هـ - 1981م.

6 - أخرجه مسلم، كتاب فضائل الصحابة ﷺ، باب فضائل فاطمة بنت النبي ﷺ، 2450/1905/4.

7 - لسان العرب، لابن منظور 414/1.

3. ارتباطه الوجداني بها:

لم يقف حب النبي - ﷺ - لابنته عند إظهاره أمام الجميع فحسب؛ بل تعداه بأن جعل مشاعره انعكاساً لمشاعرها، حيث ربط غضبه بغضبها، وسعادته بسعادتها، وإيذائه بإيذائها إلى غير ذلك؛ الأمر الذي يدل على مدى ارتباطه الوجداني بها، وتأثره المباشر بمشاعرها، فما يحزنها يحزنه، وقد ظهر على هذا الترابط بالفاظ منها: (فاطمة بضعة مني، إنما فاطمة مضغة مني، إنما فاطمة شجنة مني، إنما ابنتي بضعة مني)، فعن المسور بن مخرمة، أن رسول الله - ﷺ - قال: «فَاطِمَةُ بَضْعَةٌ مِنِّي، فَمَنْ أَغْضَبَهَا أَغْضَيْتَنِي»⁽¹⁾، وعنه - رضي الله عنه - قال: «قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّمَا فَاطِمَةُ شَجْنَةٌ مِنِّي يَبْسُطُنِي مَا يَبْسُطُهَا، وَيَقْبِضُنِي مَا يَقْبِضُهَا»⁽²⁾. والشجنة بالكسر والضم: شعبة في غصن من غصون الشجرة، تطلق لتدل على شدة الترابط، ومن ذلك القرابة المُشْتَبِكَةُ كاشتيتك العُرُوق مجازاً⁽³⁾.

4. حرصه على مشاعرها:

ومن المواقف التي أكدت حرصه - ﷺ - على مشاعرها، حينما ثار غضبا من أجلها، وأظهر رفضه القاطع لما قد يؤديها، ومن ذلك حينما حاول زوجها - رضي الله عنه - استشارته في أمر الخطبة عليها. فعن سويد بن غفلة أن علياً استشار النبي - ﷺ - في خطبة ابنة أبي جهل، قال: «أَعَنْ حَسْبَهَا تَسْأَلُنِي؟» فقال: عَلِيٌّ قَدْ أَعْلَمَ مَا حَسْبُهَا وَلَكِنْ أَتَأْمُرُنِي بِهَا؟ فَقَالَ: «لَا، فَاطِمَةُ مَضْغَةٌ مِنِّي، وَلَا أَحْسِبُ إِلَّا وَأَنْهَا تَحْزَنُ أَوْ تَجْرَعُ» فَقَالَ عَلِيٌّ: لَا آتِي شَيْبًا تَكْرَهُهُ⁽⁴⁾.

نلاحظ هنا الإنكار الشديد منه - ﷺ - تجاه هذا الأمر، فحينما سأله عن ابنة أبي جهل، أجابه إجابة يعلم إنه لا يقصدها، " فقال له "أعن حسبها تسألني": وفي ذلك إشارة إلى شرف حسب فاطمة - وهي ابنة سيد الخلق - على حسب من أراد أن يخطبها عليها، وهي ابنة عدو الله والخلق، وحينما ذكر علي - رضي الله عنه - أنه يسأله رأيه في خطبتها، جاءه الرد القاطع الحازم القوي الشديد الذي لا يقبل التفاوض، ولا يحتمل التأويل، بلفظة واحدة فقال: (لا) وهي كلمة شديدة الوقع على الأذن والنفس معاً، ثم استطرد فبين سبب رفضه؛ بأن ذلك سيحزنها، وأنها مضغة منه - ﷺ - وأنه لا يرضى بحزنها، ولا يقبل بغضبها، فما كان من علي - رضي الله عنه - إلا أن تراجع عن ذلك؛ بل وأكد بأنه لن يقدم على أي شيء يكرهه أبداً. وفي رواية أخرى عن المسور بن مخرمة أن بني المغيرة جاءوا إلى النبي - ﷺ - يستأذنونهم تزويج ابنتهم لعلي - رضي الله عنه - فخطب علي المنبر قائلاً: «إِنَّ بِنْتِي هِشَامُ بْنُ الْمُغِيرَةِ اسْتَأْذَنُونِي أَنْ يُنْكَحُوا ابْنَتَهُمْ عَلِيٌّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ، فَلَا آذَنُ لَهُمْ، ثُمَّ لَا آذَنُ لَهُمْ، ثُمَّ لَا آذَنُ لَهُمْ، إِلَّا أَنْ يُحِبَّ ابْنُ أَبِي طَالِبٍ أَنْ يُطَلِّقَ ابْنَتِي وَيُنْكَحَ ابْنَتَهُمْ، فَإِنَّمَا ابْنَتِي بَضْعَةٌ مِنِّي، يَرِيئُنِي مَا رَابَهَا وَيُؤْذِنُنِي مَا آدَاهَا»⁽⁵⁾. إن المتأمل في هذا الحديث يظهر له جملة من الأمور، أهمها:

- حرص النبي - ﷺ - على إظهار رفضه لهذه الخطبة، وهو على المنبر على رؤوس الأشهاد؛ وذلك لأسباب، منها: أن القصة كانت شائعة بينهم، فحرص على إبلاغهم رفضه القاطع لها، وبيان سبب رفضه أمامهم.
- تأكيد النبي ﷺ لمكانتها أمامهم بوصفها بضعة منه ﷺ.
- تأكيد النبي - ﷺ - لقوة الترابط بين مشاعره ومشاعرها؛ وفيه إشارة إلى توخي الحذر في معاملتها، بما يليق بمكانتها.
- إظهار رفضه لهذه الخطبة بأساليب عدة، منها: تكراره عدم الإذن لهم ثلاثاً، وخطابه لعلي "يا بن أبي طالب" في قوله: "إلا أن يحب ابن أبي طالب" فلم يذكر اسمه إشارة إلى عدم رضاه بفعله، وجاء تأكيده للفظه "ابنتي" مرتين، إشارة إلى مكانتها عنده، وأكد رفضه بأسلوب الإنكار، إذ كيف تجتمع ابنته مع ابنة أبي جهل بقوله: "إلا أن يحب أن يطلق ابنتي".
- أكد - ﷺ - لعلي - رضي الله عنه - حجم الألم في نفسه جراء ما تعرضت له ابنته من حزن بقوله: "إن كنت مؤذينا بها" فطلقها.

وعن المسور بن مخرمة، أخبره أن علي بن أبي طالب خطب بنت أبي جهل، وعنده فاطمة بنت رسول الله - ﷺ - فلما سمعت بذلك فاطمة أتت النبي - ﷺ - فقالت له: «إِنَّ قَوْمَكَ يَتَحَدَّثُونَ أَنَّكَ لَا تَغْضَبُ لِبَنَاتِكَ، وَهَذَا عَلِيٌّ نَاكِحًا ابْنَةَ أَبِي جَهْلٍ، قَالَ الْمَسُورُ: فَقَامَ النَّبِيُّ - ﷺ - فَسَمِعَتْهُ حِينَ تَشْهَدُ ثُمَّ قَالَ: «أَمَا بَعْدُ، فَإِنِّي أَنْكَحْتُ أَبَا الْعَاصِ بْنِ الرَّبِيعِ، فَحَدَّثَنِي،

1 - أخرجه البخاري، كتاب المناقب، باب مناقب قرابة رسول الله ﷺ، ومنقبة فاطمة بنت النبي ﷺ، 3714/21/5.
2 - أخرجه الحاكم في مستدركه، كتاب معرفة الصحابة، باب مناقب فاطمة بنت رسول الله ﷺ، 4734/168/3. قال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد، ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي في التلخيص.
3 - ينظر: النهاية في غريب الحديث والأثر، لابن الأثير، 447/2.
4 - أخرجه الحاكم في مستدركه، كتاب معرفة الصحابة ﷺ، ذكر مناقب فاطمة بنت رسول الله ﷺ. قال الحاكم: حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه بهذه السيقاة، وقال الذهبي في التلخيص: مرسل قوي.
5 - أخرجه مسلم، كتاب فضائل الصحابة ﷺ، باب فضائل فاطمة بنت النبي ﷺ، 2449 / 1902/4.

فَصَدَّقْتَنِي وَإِنَّ فَاطِمَةَ بِنْتَ مُحَمَّدٍ مُضَعَّةٌ مِنِّي، وَإِنَّمَا أَكْرَهُ أَنْ يَفْتَنُوهَا، وَإِنَّهَا، وَاللَّهِ لَا تَجْتَمِعُ بِنْتُ رَسُولِ اللَّهِ وَبِنْتُ عَدُوِّ اللَّهِ عِنْدَ رَجُلٍ وَاحِدٍ أَبَدًا» قَالَ: فَتَرَكَ عَلِيٌّ الْخُطْبَةَ⁽¹⁾.
وبالنظر إلى الأحاديث سألفة الذكر يتضح أن النبي - ﷺ - كان لها نعم السند؛ مما أكسبها الأمان والثقة بالنفس، الأمر الذي انعكس على شخصيتها.

5. مواساتها عند الشدائد:

ومن المواقف التي سجلت أعماق المشاعر تجاهها، حرصه على مشاركتها ألم فقده قبل وفاته؛ لشدة تعلقها به؛ لنلأ تعاني وحدها، فبها لقرب رحيله، وخصتها دون غيرها بإخبارها عن ذلك، ولما أن رأى شدة حزنها وألمها وبكاءها عليه وهو أمامها، أسرها تارة أخرى بما يسعدها، وهو أنها أول أهله لحاقاً به.
فعن عائشة - رضي الله عنها - قَالَتْ: إِنَّا كُنَّا أَرْوَاحَ النَّبِيِّ - ﷺ - عِنْدَهُ جَمِيعًا، لَمْ تُعَادِرْ مِنَّا وَاحِدَةً، فَأَقْبَلَتْ فَاطِمَةَ تَمْشِي، لَا وَاللَّهِ مَا تَخْفَى مَشِيئَتَهَا مِنْ مَشِيئَةِ رَسُولِ اللَّهِ - ﷺ - فَلَمَّا رَأَاهَا رَحَبَ قَالَ: «مَرْحَبًا بِابْنَتِي» ثُمَّ اجْلَسَهَا عَنْ يَمِينِهِ أَوْ عَنْ شِمَالِهِ، ثُمَّ سَارَهَا، فَبَكَتْ بُكَاءً شَدِيدًا، فَلَمَّا رَأَى حُزْنَهَا سَارَهَا الثَّانِيَةَ، فإِذَا هِيَ تَضْحَكُ، فَقُلْتُ لَهَا أَنَا مِنْ بَيْنِ نِسَائِهِ: خَصَّكَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - بِالسِّرِّ مِنْ بَيْنِنَا، ثُمَّ أَنْتِ تَبْكِينَ، فَلَمَّا قَامَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - سَأَلْتُهَا: عَمَّا سَارَكَ؟ قَالَتْ: مَا كُنْتُ لِأَفْشِي عَلَى رَسُولِ اللَّهِ - ﷺ - سِرَّهُ، فَلَمَّا تَوَقَّيْتُ، قُلْتُ لَهَا: عَزَمْتُ عَلَيْكَ بِمَا لِي عَلَيْكَ مِنَ الْحَقِّ لَمَّا أَخْبَرْتَنِي، قَالَتْ: أَمَا الْآنَ فَنَعَمْ، فَأَخْبَرْتَنِي، قَالَتْ: أَمَا حِينَ سَارَنِي فِي الْأَمْرِ الْأَوَّلِ، فَإِنَّهُ أَخْبَرَنِي: «أَنَّ جِبْرِيلَ كَانَ يِعَارِضُهُ بِالْقُرْآنِ كُلَّ سَنَةٍ مَرَّةً، وَإِنَّهُ قَدْ عَارَضَنِي بِهِ الْعَامَ مَرَّتَيْنِ، وَلَا أَرَى الْأَجَلَ إِلَّا قَدْ أَفْتَرَبَ، فَاتَّقِيَ اللَّهَ وَاصْبِرِي، فَإِنِّي نَعَمُ السَّلْفُ أَنَا لَكَ» قَالَتْ: فَبَكَيْتُ بُكَائِي الَّذِي رَأَيْتِ، فَلَمَّا رَأَى جَزْعِي سَارَنِي الثَّانِيَةَ، قَالَ: «يَا فَاطِمَةُ، أَلَا تَرْضَيْنَ أَنْ تَكُونِي سَيِّدَةَ نِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ، أَوْ سَيِّدَةَ نِسَاءِ هَذِهِ الْأُمَّةِ»⁽²⁾.

وعلى الرغم من محاولته - ﷺ - التخفيف عنها قبل وفاته، إلا أنها حزنت عليه عند احتضاره حزناً شديداً، واشتد حزنها بعد وفاته، فلم تُر بعده ضاحكة.

وفي البخاري عن أنس - رضي الله عنه - عَنِ أَنَسِ، قَالَ: لَمَّا ثَقُلَ النَّبِيُّ - ﷺ - جَعَلَ يَنْعَشَاهُ، فَقَالَتْ فَاطِمَةُ: وَاكْرَبْ أَبَاهُ، فَقَالَ لَهَا: «لَيْسَ عَلَيَّ أَبِيكَ كَرَبٌ بَعْدَ الْيَوْمِ»، فَلَمَّا مَاتَ قَالَتْ: يَا أَبَتَاهُ، أَجَابَ رَجُلًا دَعَاهُ، يَا أَبَتَاهُ، مَنْ جَنَّةُ الْفَرْدَوْسِ، مَاوَاهُ يَا أَبَتَاهُ إِلَى جِبْرِيلَ نُنْعَاهُ، فَلَمَّا دُفِنَ، قَالَتْ فَاطِمَةُ: يَا أَنَسُ أَطَابَتْ أَنْفُسُكُمْ أَنْ تَحْتُوا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ - ﷺ - الثَّرَابَ»⁽³⁾.
ولم تمكث - رضي الله عنها - بعده على أصح الأقوال أكثر من ستة أشهر، قال الواقدي: عن عائشة أن فاطمة توفيت بعد النبي ﷺ بستة أشهر، وهو الثابت عندنا، وبه قال المدائني⁽⁴⁾.

ثانياً: تعزيز الجانب الإيماني والأخلاقي.

من الأسس التي اعتمدها النبي - ﷺ - في تأسيس ابنته، تعزيز الجانب الإيماني والأخلاقي لديها، وقد تم تأخيرها إلى ههنا؛ لأن المتأمل لأساليب النبي - ﷺ - في تعامله مع ابنته، يجد أنه ركز أولاً على تعزيز الجانب الوجداني والعاطفي منذ طفولتها، ومن ثم شرع في تعزيز الجانب الأخلاقي والإيماني، فأسسها على القيم والأخلاق الفاضلة، ما أنتج هذه التربية الناجحة، فكانت البنيت الصابرة الدينية، القانعة، الشاكرة لله في السراء والضراء، وفيما يلي بيان لعدد من صفاتها الخلقية على سبيل المثال لا الحصر.

1 - أخرجه مسلم، كتاب فضائل الصحابة، باب فضائل فاطمة بنت النبي ﷺ، 4/1903/2449.
2 - أخرجه البخاري، كتاب الاستئذان، باب مَنْ نَجَى بَيْنَ يَدَيِ النَّاسِ، وَمَنْ لَمْ يُخْبِرْ بِسِرِّ صَاحِبِهِ، فَإِذَا مَاتَ أُخْبِرَ بِهِ، 6285/64/8، وكتاب المناقب، باب علامات النبوة في الإسلام، 3623/203/4. ومسلم، كتاب فضائل الصحابة ﷺ، باب فضائل فاطمة بنت النبي عليها السلام، 2450/1905/4 واللفظ للبخاري.

3 - أخرجه، كتاب المغازي، باب مرض النبي - ﷺ - ووفاته، 4462/15/6.

4 - ينظر: الطبقات الكبرى، لابن سعد، 23/8، الاستيعاب، لابن عبد البر، 1899/4.

1. السمات والأدب:

جاء في الأدب المفرد عن عائشة قالت: (مَا رَأَيْتُ أَحَدًا كَانَ أَشْبَهَ حَدِيثًا وَكَلَامًا بِرَسُولِ اللَّهِ - ﷺ - مِنْ فَاطِمَةَ⁽¹⁾)
وعنها رضي الله عنها قالت: "مَا رَأَيْتُ أَحَدًا كَانَ أَشْبَهَ سَمْتًا وَهَدْيًا وَدَلًّا - وَقَالَ الْحَسَنُ: حَدِيثًا، وَكَلَامًا، وَلَمْ يَذْكَرِ
السَّمْتُ، وَالْهَدْيُ، وَالذَّلُّ"⁽²⁾.

والدال بفتح المهملة والتشديد: السيرة والحالة والهيئة، وكأنه مأخوذ مما يدل ظاهر حاله على حسن فعاله⁽³⁾.
2. الصبر:

سعت التربية النبوية إلى غرس القيم والأخلاق الفاضلة، ومن ذلك تعزيز صفة الصبر، بتجسيده واقعا في حياتها من خلال معالجته - ﷺ - لما يعترضها من مشكلات ومن ذلك - كما سبق وأن تبين حينما طلبت منه أن يمدّها بمن يساعدها هي وزوجها لحمل أعباء الحياة اليومية، فما كان منه - ﷺ - إلا أنه وجهها التوجيه الصحيح للاعتماد على النفس، بالتحلي بالصبر، فمثل هذا الموقف وغيره رسخ فيها صفة الصبر.

3. الصدق:

ظهرت آثار التربية النبوية بارزة في أقوالها وأفعالها، ومن ذلك اتصافها بالصدق، فعن عائشة رضي الله عنها قالت:
"مَا رَأَيْتُ أَفْضَلَ مِنْ فَاطِمَةَ غَيْرِ أَبِيهَا، وَقَالَتْ: وَكَانَ بَيْنَهُمَا شَيْءٌ، فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، سَلْهَا، فَإِنَّهَا لَا تَكْذِبُ"⁽⁴⁾.

4. الحياء:

ومما عرفت به اتصافها بالحياء، فقد بلغ حياؤها أن حرصت على المبالغة في ستر نفسها حتى بعد وفاتها، ذكر ابن عبد البر: "أنها أول من عُطي نعشها في الإسلام على تلك الصفة"⁽⁵⁾.

5. حفظ السر:

وعن عائشة - رضي الله عنها - إنه أسر إليها حديثاً فبكت فاطمة، ثم إنه سارها فضحكت أيضاً، فقالت لها: ما يبكيك؟ فقالت: ما كنت لأفشي سر رسول الله - ﷺ - فقالت: ما رأيت كاليوم فرحاً أقرب من حزن، فقالت لها حين بكت: أخصك رسول الله - ﷺ - بحديثه دوننا، ثم تكيين؟ وسألتهما عما قال فقالت: ما كنت لأفشي سر رسول الله - ﷺ - حتى إذا قبض سألتهما فقالت: إنه كان حدثنني " أن جبريل كان يعارضه بالقرآن كل عام مرة، وأنه عارضه به في العام مرتين، ولا أراني إلا قد حضر أجلي، وإني أول أهلي لحوقاً بي، ونعم السلف أنا لك، فبكت لذلك، ثم إنه سارني، فقال: «ألا ترصين أن تكوني سيّدة نساء المؤمنين، أو سيّدة نساء هذه الأمة» فضحكت لذلك⁽⁶⁾.

بهذه الصفات الفاضلة التي اتصفت بها - رضي الله عنها - في أفعالها وأقوالها تأسست تأسيساً متيناً استحكمت على إثره السيادة على نساء المؤمنين، بل ومنحتها السيادة على نساء أهل الجنة، كما في صحيح البخاري: ما جاء عن النبي ﷺ قوله: «فَاطِمَةُ سَيِّدَةُ نِسَاءِ أَهْلِ الْجَنَّةِ»⁽⁷⁾.

الخاتمة

تم بحمد الله وتوفيقه إكمال هذا البحث المعنون بـ (التأسيس النبوي للسيدة فاطمة رضي الله عنها)، وقد خلص إلى نتائج من أهمها:

1. يقدم التأسيس النبوي لشخصية السيدة فاطمة - رضي الله عنها - مرجعاً تطبيقياً للتربية الإسلامية، حيث ترسخت فيه الأسس، وتكاملت فيه الأركان.
2. اتسمت تربية النبي ﷺ لابنته - رضي الله عنها - بالشمول والتوازن في كل مراحلها، فلم تكن مجرد ممارسات تربوية متكررة، أو مواقف عاطفية عابرة، وإنما كانت تأسيساً منهجياً مقصوداً، يؤكد الوعي النبوي بأهمية البناء التربوي المبكر منذ الصغر، والمستمر طول العمر، وهو ما أنتج شخصيتها المتوازنة، التي تعدّ نموذجاً ناجحاً للمرأة المسلمة.
3. جمعت التربية النبوية بين الرحمة والحزم، ففي الوقت الذي برزت عنايته - ﷺ - بتعزيز الجانب الوجداني والعاطفي لها، كان الحزم حاضراً بتوجيهها إلى تحمل الشدائد.
4. اعتمدت التربية النبوية أسلوب القدوة العملية، وهو ما كان له الأثر الكبير في ترسيخ القيم والفضائل لديها.

1 - أخرجه البخاري في الأدب المفرد، باب الرجل يقبل ابنته 971/337، الأدب المفرد، لأبي عبد الله محمد بن إسماعيل بن المغيرة البخاري، 256هـ، تح: محمد فؤاد عبد الباقي، دار البشائر الإسلامية - بيروت، ط:3، 1409هـ - 1989م.

2 - سبق تخريجه ص 12.

3 - فتح الباري، لابن حجر، 7، 103.

4 - أخرجه الطبراني في الأوسط، باب من اسمه إبراهيم، 2721/137/3. ذكره الهيثمي في مجمع الزوائد، وعزاه إلى الطبراني في الأوسط، وأبي يعلى، بلفظ: ما رأيت أحداً قط أضدق من فاطمة. وقال: رجالهما رجال الصحيح.

5 - سير أعلام النبلاء، للذهبي، 129/2.

6 - أخرجه مسلم، كتاب فضائل الصحابة، باب فضائل فاطمة بنت النبي ﷺ، 2450/1905/4.

7 - أخرجه البخاري، كتاب أصحاب النبي ﷺ، باب مناقب قرابة رسول الله ﷺ، 20/5.

5. حققت عناية النبي - ﷺ - بالتربية العاطفية لابنته التوازن الداخلي ومن ثم الخارجي لديها.
6. قدم التأسيس النبوي للمجتمع مضامين تعليمية دقيقة، تصلح لبناء أجيال ممتدة.
7. حيازة السيدة فاطمة - رضي الله عنها - شرف السيادة؛ كان نتيجة حتمية لتوافر مقومات التربية النبوية عند تأسيسها. هذا وباللله التوفيق
وصل الله وسلم وبارك على سيدنا محمد
وأخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

المصادر والمراجع

- القرآن الكريم برواية قالون عن نافع، وبالرسم الإملائي.
- 1. الأدب المفرد، لأبي عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري، ت: 256هـ، تح: محمد عبد الباقي، دار البشائر الإسلامية - بيروت، ط: 3، 1409هـ - 1989م.
- 2. الاستيعاب في معرفة الأصحاب، لأبي عمر يوسف بن عبد الله بن عبد البر القرطبي ت: 463هـ، تح: علي الجاوي، دار الجيل، بيروت، ط: 1، 1412هـ - 1992م.
- 3. أسد الغابة في معرفة الصحابة، لأبي الحسن علي بن أبي الكرم محمد الشيباني الجزري، ابن الأثير، ت: 630هـ، تح: علي معوض، عادل عبد الموجود، دار الكتب العلمية، ط: 1، 1415هـ - 1994م.
- 4. الإصابة في تمييز الصحابة، لأبي الفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني ت: 852هـ، تح: عادل عبد الموجود، وعلى معوض، دار الكتب العلمية، بيروت، ط: 1، 1415هـ.
- 5. تهذيب الكمال في أسماء الرجال، لأبي الحجاج يوسف بن عبد الرحمن بن يوسف المزني، ت: 742هـ، تح: بشار عواد معروف، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط: 1، 1400هـ - 1980م.
- 6. تهذيب اللغة، محمد بن أحمد بن الأزهر الهروي، أبو منصور ت: 370هـ، تح: محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط: 1، 2001م.
- 7. الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه = صحيح البخاري، لمحمد بن إسماعيل أبي عبد الله البخاري، تح: محمد زهير الناصر، دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم محمد عبد الباقي، ط: 1، 1422هـ).
- 8. الجامع لأحكام القرآن، لمحمد بن أحمد شمس الدين القرطبي، تح: أحمد البردوني، وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية، القاهرة، ط: 2، 1384هـ.
- 9. حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، لأبي نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهاني ت: 430هـ، دار السعادة - مصر، 1394هـ - 1974م، دار الكتب العلمية- بيروت، 1409هـ.
- 10. سنن أبي داود، لأبي داود سليمان بن الأشعث الأزدي السجستاني، ت: 275هـ، تح: محمد عبد الحميد، المكتبة العصرية، صيدا - بيروت.
- 11. سنن الترمذي، لمحمد بن عيسى بن سؤرة بن موسى بن الضحاك، الترمذي، أبي عيسى ت: 279هـ، تح: أحمد شاكر، وآخرون، مطبعة مصطفى البابي - مصر، ط: 2، 1395هـ - 1975م.
- 12. سيادة فاطمة بنت رسول الله ﷺ دراسة تحليلية، ميساء علي رابدة، مجلة الميزان للدراسات الإسلامية والقانونية، جامعة العلوم الإسلامية العالمية، عمان، المملكة الأردنية الهاشمية، مج: 10، العدد 4، لسنة 2023م.
- 13. سير أعلام النبلاء، بأبي عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَائِمَاز الذهبي، ت: 748هـ، تح: مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، ط: 3، 1405هـ - 1985م.
- 14. الطبقات الكبرى، لأبي عبد الله محمد بن سعد الهاشمي البصري، البغدادي المعروف بابن سعد ت: 230هـ، تح: محمد عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط: 1، 1410هـ - 1990م.
- 15. فاطمة بنت النبي ﷺ سيرتها، فضائلها، مسندها دراسة حداثية تاريخية موضوعية، إبراهيم عبد الله المديش، دار الآل والصحب الوقفية، الرياض، ط: 1، 1440هـ.
- 16. فتح الباري شرح صحيح البخاري، لأبي الفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، دار المعرفة - بيروت، 1379هـ، ترقيم: محمد فؤاد عبد الباقي، إخراج: محب الدين الخطيب.
- 17. فتح القدير، محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني ت: 1250هـ، دار ابن كثير، دار الكلم الطيب، بيروت، ط: 1، 1414هـ.
- 18. كتاب العين، لأبي عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي البصري ت: 170هـ، تح: مهدي المخزومي، إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال، د.ط، د.ت.

19. كشف الأستار عن زوائد البزار، لنور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي ت807هـ، حبيب الرحمن الأعظمي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط:1، 1399هـ - 1979م.
20. الكواكب الدراري في شرح صحيح البخاري، محمد بن يوسف بن علي بن سعيد، شمس الدين الكرمانلي ت786هـ، دار إحياء التراث العربي، بيروت-لبنان، ط:2، 1401هـ - 1981م.
21. لسان العرب، محمد بن مكرم بن علي جمال الدين ابن منظور الإفريقي، أبو الفضل ت711هـ، دار صادر، بيروت ط:3، 1414هـ.
22. مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، لأبي الحسن نور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي ت807هـ، تح: حسام الدين القدسي، مكتبة القدسي، القاهرة، د: ط، 1414هـ، 1994م.
23. المستدرک علی الصحیحین، لأبي عبد الله الحاكم محمد بن عبد الله بن محمد بن نعيم النيسابوري ت405هـ، تح: مصطفى عطا، دار الكتب العلمية - بيروت، ط:1، 1411هـ - 1990م.
24. مسند أبي يعلى، لأبي يعلى أحمد بن علي بن المثنى الموصلي ت307هـ، تح: حسين سليم أسد، دار المأمون للتراث - دمشق، ط:1، 1404هـ - 1984م.
25. مسند الإمام أحمد بن حنبل، أحمد بن حنبل ت241هـ، تح: شعيب الأرنؤوط ت1438هـ، عادل مرشد وآخرون، مؤسسة الرسالة، ط:1، 1421هـ - 2001م.
26. المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله ﷺ، لمسلم بن الحجاج أبي الحسن القشيري النيسابوري ت261هـ، تح: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي - بيروت، د: ط، د:ت.
27. مشارق الأنوار على صحاح الآثار، عياض بن موسى بن عياض اليحصبي السبتي، أبو الفضل ت544هـ، المكتبة العتيقة ودار التراث، د:ط، د:ت.
28. المصنف، لأبي بكر بن أبي شيبة، عبد الله بن محمد العبسي ت235هـ، تح: أسامة إبراهيم، دار الفاروق - مصر، ط:1، 1429هـ - 2009م.
29. المعجم الصغير، لسليمان بن أحمد بن أيوب اللخمي الشامي، أبي القاسم الطبراني ت360هـ، تح: محمد شكور، المكتب الإسلامي، دار عمار - بيروت، عمان، ط:1، 1405هـ - 1985م.
30. المعجم الكبير، لأبي القاسم سليمان بن أحمد الشامي الطبراني ت360هـ، تح: حمدي السلفي، مكتبة ابن تيمية - القاهرة، ط:2، د:ت.
31. النهاية في غريب الحديث والأثر، لأبي السعادات المبارك بن محمد الجزري، ابن الأثير ت: 606هـ، المكتبة العلمية - بيروت، 1399هـ - 1979م، تح: طاهر أحمد الزاوي - محمود محمد الطناحي.